جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

مُشكِّلات الاستراتيجيّة التوجيهيَّة في كتاب: (في رأيي المتواضع) لغازي القصيبي

الباحثة

ندى بنت سعود الدّايل

معيدة في قسم اللغة العربية - ماجستير تخصص نحو ولغة
كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية

العدد الرابع والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م
الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

مُشكِّلات الاستراتيجيّة التوجيهيَّة في كتاب: (في رأيي المتواضع) لغازي القصيبي

ندى بنت سعود الدّايل

قسم اللغة العربية - ماجستير تخصص نحو ولغة - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: nadaaeldael@yahoo.com

الملخص

المرسِل والمرسَل إليه طرفا عملية التواصل التي لا تتم إلا بوجودهما معاً، ونجاح التواصل قائم على مدى التفاعل المشترك بينهما، والمرسِل هو الطرف الأول الذي تبدأ به عملية التواصل، إذ يتعرَّض المرسِل عادة لمثيرات تدفعه إلى كتابة رسالةٍ موجهةٍ، يَقْصِد من خلالها تحقيق غايات تأثيرية بأسلوب يراعي الحالة الاجتماعية والثقافية للمرسَل إليه، وموقفه من الموضوع الذي سيناقشه، فالخطاب عبارة عن أفعال كلامية ينجزها المرسِل لتحقيق قصده، والتأثير في المرسَل إليه، بما يعمد إليه من استراتيجيات الخطاب التي تسهم في إنجاح عمليّة التواصل.

من هذا المنطلق عنيت هذه الدّراسة بالكشف عن مُشكِّلات الاستراتيجية التوجيهية في مقالات غازي القصيبي المجموعة في كتابه "في رأيي المتواضع" بعدّها خطابًا لغويًا تواصليًا بحتًا؛ للكشف عن مدى قدرة القصيبي على تمرير قصده للمرسَل إليه والتَّأثير فيه من خلال الاستراتيجية التوجيهية.

إن تركيز البحث على كيفية توظيف القصيبي للاستراتيجية التوجيهية في تواصله مع الآخر في المقالات، ومحاولة التأثير فيه، دفعني إلى اتّباع المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظواهر والأساليب الواردة في المقالات بتحديد خصائصها، ومن ثمّ تحليلها لاستكناه المقاصد المتضمنة فيها.

الكلمات المفتاحية : مُشكِّلات الاستراتيجية التوجيهية – غازي القصيبي – كتاب (في رأيي المتواضع) – الخطاب والتواصل.

Problems of the Guiding Strategy in a book: "In My Humble Opinion" by Ghazi Al-Qossabi

Nada Bint Saud Al-Dail
Demonstrator in the Department of Arabic Language , MA majoring in Grammar & language ,College of Arts - King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: nadaaeldael@yahoo.com

Abstract

The sender and the addressee are the two parties of the communication process that does not take place unless they exist together, and the success of the communication is based on the extent of the joint interaction between them, and the sender is the first party that begins the communication process. The sender is usually exposed to stimuli that lead him to write a directed message, through which he intends to achieve influential goals in a manner that he takes into account the social and cultural situation of the addressee, and his position on the subject to be discussed. The speech is verbal actions that the sender accomplishes to achieve his intent, and influence the addressee, with what he intends from the speech strategies that contribute to the success of the communication process.

From this standpoint, this study was concerned with exposing the problems of guiding strategy in the articles of Ghazi Al-Qossabi, collected in his book "In My Humble Opinion", which is considered a purely communicative language speech to reveal the extent to which Al-Gosaibi is able to pass his intent to the addressee and influence him through the guiding strategy.

The focus of the research, on how Al-Gosaibi used the guiding strategy in his communication with the other in the articles, and trying to influence him, led me to follow the descriptive analytical approach, which is based on describing the phenomena and methods mentioned in the articles by defining their characteristics, and then analyzing them for the intent of the purposes included in them.

Keywords: Guiding Strategies Problems - Ghazi Al-Qossabi - Book (In My Humble Opinion) - Discourse and Communication

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة:

المرسِل والمرسَل إليه طرفا عملية التواصل التي لا تتم إلا بوجودهما معاً، ونجاح التواصل قائم على مدى التفاعل المشترك بينهما، والمرسِل هو الطرف الأول الذي تبدأ به عملية التواصل، إذ يتعرَّض المرسِل عادة لمثيرات تدفعه إلى كتابة رسالةٍ موجهةٍ، يَقْصِد من خلالها تحقيق غايات تأثيرية بأسلوب يراعي الحالة الاجتماعية والثقافية للمرسَل إليه، وموقفه من الموضوع الذي سيناقشه، فالخطاب عبارة عن أفعال كلامية ينجزها المرسِل لتحقيق قصده، والتأثير في المرسَل إليه، بما يعمد إليه من استراتيجيات الخطاب [١] التي تسهم في إنجاح عمليّة التواصل.

والخطاب الإعلامي يعدّ خطابًا لغويًّا يحمل قصد مرسِله الذي يسعى إلى تحقيقه مستعينًا ببعض الاستراتيجيات والأساليب اللغوية المناسبة لحال المرسَل إليه؛ من أجل تأسيس علاقة تواصلية ناجحة معه، فهو خطاب تواصلي يمتاز عن غيره من الخطابات بقدرته الأقوى على التأثير في الآخر ومعالجة الوضع الراهن معالجة مباشرة.

من هذا المنطلق عنيت هذه الدّراسة بالكشف عن مُشكِّلات الاستراتيجية التوجيهية في مقالات غازي القصيبي المجموعة في كتابه "في رأيي المتواضع" بعدّها خطابًا لغويًا تواصليًا بحتًا؛ للكشف عن مدى قدرة

---

(١) يُقصَد باستراتيجية الخطاب: الخطة التي يضعها المرسِل وفقاً لعناصر سياقية معينة تساعده على بلوغ الهدف المنشود من صياغة خطابة. ينظر: الشهري، عبد الهادي بن ظافر. استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغويّة تداولية. دار الكتاب الجديد (لبنان-بيروت، ط:١، ٢٠٠٤): ٥٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القصيبي على تمرير قصده للمرسَل إليه والتَّأثير فيه من خلال الاستراتيجية التوجيهية.

إن تركيز البحث على كيفية توظيف القصيبي للاستراتيجية التوجيهية في تواصله مع الآخر في المقالات، ومحاولة التأثير فيه، دفعني إلى اتّبـــاع المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على وصف الظواهر والأساليب الواردة في المقالات بتحديد خصائصها، ومن ثمّ تحليلها لاستكناه المقاصد المتضمنة فيها.

الاستراتيجية التوجيهية:

هي الاستراتيجية التي تحقق الوظيفة الإفهاميّة للغة [١] ، إذ يفرض المرسِل باستعمالها القيود على المرسَل إليه، أو توجيهه لمصلحته إما لنفعه أو لإبعاده عن الضرر، وتتمثل في الأمر والنهي والاستفهام والتحذير والإغراء وذكر العواقب... وغيرها. من هنا فإن الخطاب ذا الاستراتيجية التوجيهيّة يعد ضغطًا وتدخّلًا على المرسَل إليه يقصد منه المرسِل في المقام الأول تبليغ المرسَل إليه محتوى الرّسالة، ثم يأتي تهذيب الخطاب في المقام التالي، فالتوجيه لا يعد فعلاً لغوياً فحسب بل هو وظيفة لغوية تعنى بالعلاقات الشخصية، وهي التي سمَّاها جاكبسون بالوظيفة الإيعازية أو الندائية [٢] .

وتتأثر الاستراتيجية التوجيهية ببعض العناصر المهمّة التي تعطي التوجيه قوته الانجازية، منها:

– سلطة المرسِل: تتدرج قوّة أفعال التوجيه وفقاً لدرجة السلطة ووجودها من عدمها، فكلما كانت سلطة المرسِل قويّة كانت إمكانية تحقيق الفعل التوجيهي أقوى [٣] .

---

(١) الوظيفة الافهامية هي الوظيفة المهيمنة على الخطابات الموجهة إلى المتلقي من أجل تنبيهه، أو توجيهه، أو التأثير فيه. للاستزادة يُنظَر: المسدّي، عبد السّلام. الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب (تونس– طرابلس، ط:٣): ١٥٨، وأوكَان، عمر. اللغة والخطاب. أفريقيا الشرق (المغرب– الدّار البيضاء، د.ط، ٢٠٠١م): ٥١–٥٢، وبومزبر، الطاهر بن حسن. التَّواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون. منشورات الاختلاف (الجزائر، ط:١، ١٤٢٨هـ– ٢٠٠٧م):٣٦، والغزالي، عبد القادر. اللسانيات ونظرية التواصل: رومان ياكبسون نموذجا. دار الحوار (سورية– اللاذقية، ط:١، ٢٠٠٣م): ٤٨

(٢) للاستزادة يُنظر: الشهري. إستراتيجيات الخطاب: ٣٢٢–٣٢٤

(٣) السّابق: ٣٢٤–٣٢٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– وجهة المنفعة الانجازية: فقد تكون منفعة الخطاب عائدة للمرسِل دون المتلقي، أو العكس، وذلك بناء على حاجتهم من الخطاب فإن كانت منفعة الخطاب عائدة إلى المرسِل فإنه يتوجّب عليه الالتزام بمقتضى الفعل التوجيهي؛ وذلك لحاجته هو لذلك، فمخالفته للفعل التوجيهي تحرمه من تحقيق تلك الحاجة، أما إذا عادت منفعة الخطاب إلى المتلقي فالالتزام بمقتضى الفعل مستحب وليس واجبًا [١] .

وقد وظّف القصيبي الاستراتيجية التوجيهية لتفعيل التواصل بينه وبين المرسَل إليه، مستعملًا وسائل لغوية عِدّة، من أبرزها: الأمر بأدواته المختلفة، والنهي، والاستفهام، والتحذير.

١. الأمر:

هو طلب حصول الشيء في الخارج، أو هو طلب ثبوته. كقولك: (قم يا زيد) فإنك تطلب حصول قيام صاحبك وإقباله عليك [٢] . أو هو «طلب الفعل بغير كف طلبًا كائنًا على وجهة الاستعلاء» [٣] ، فالأصل في الأمر أنه إلزام للمرسَل إليه بفعل ما على سبيل الاستعلاء، فإن كان كذلك أفاد وجوب وقوع الفعل؛ إذ إن الأمر جاء من الأعلى رتبة "المرسِل" إلى الأدنى "المرسَل إليه"، فإن استعمل الأمر على غير الأصل خرج ليفيد مقاصد يستشفُّها المرسَل إليه من السِّياق الذي وردت فيه، كأن يُستَعمَل الطَّلب على سبيل التَّضرُّع كقولنا: "اللهم اغفر وارحم"، فيولِّد الدُّعاء، وإن استُعمِلَ في مقام

(١) السَّابق: ٣٢٦

(٢) السَّكاكي، يوسف ابن أبي بكر محمد بن. مفتاح العلوم. تح: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية (لبنان– بيروت، ط:٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧):٣٠٤

(٣) القزويني، وآخرون. شروح التَّلخيص. دار الكتب العلميَّة. ج:٢. دار الكتب العلميَّة (لبنان–بيروت، د.ط، د.ت):٣٠٩

عدم الرضا بالأمور ولَّد التهديد نحو قوله تعالى : ﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ [سورة فصِّلت: ٤٠]، وقد يُستَعمل الأمر بمعنى التَّعجيز، نحو قوله تعالى: ﴿ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾[سورة البقرة: ٢٣]؛ لإظهار عجز من يدَّعي أن في وسعه أمرًا محالًا، وقد يراد بالأمر التَّحقير والإهانة نحو قوله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾[سورة البقرة: ٦٥]، وقد يستعمل للتمني نحو قول امرئ القيس:

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيْلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ مِنكَ بِأَمْثَلِ (١)

إذ ليس الغرض طلب الانجلاء من الليل (٢) .

ومن أبرز المقاصد التي أُنجِزت باستعمال الأمر في المدوّنة:

أ- الالتماس (الطلب):

يتحقق هذا المعنى إذا تساوى المتخاطبان في المرتبة مثل ما ورد في مقالة "لطائف الحصافة في التَّفرقة بين الكرم والضيافة" في ختام الحوار الذي دار بينه وبين صديقه العزيز، حين قال: «لديَّ اقتراح يحل مشكلتي ومشكلتك، ابعث إلي بثمن الذَّبيحة لأحوله إلى مشروع خيري فتقوم أنت بالواجب، وأنجو أنا من ويلات العزيمة» (٣) وظّف القصيبي الأمر هنا مع أنه لا يملك أي سلطة على المواطن؛ ليشير به إلى الحل الذي يرضي الطرفين معًا، فالأمر لم يجئ على سبيل الاستعلاء، بل على سبيل الالتماس

(١) القيس، امرؤ. ديوان امرئ القيس. تح: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعارف (مصر- القاهرة، ط:٤، ١٩٨٤م): ١٨

(٢) القزويني، وابن يعقوب المغربي، وبهاء الدِّين السَّبكي. شروح التَّلخيص. دار الكتب العلميَّة. ج:٢. دار الكتب العلميَّة (لبنان-بيروت، د.ط، د.ت): ٣١٨-٣٢١

(٣) القصيبي، غازي بن عبد الرحمن. في رأيي المتواضع. تهامة (المملكة العربية السّعودية- جدّة، ط:٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م): ١٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والطلب تلطفًا مع المخاطب ليعفيه من تلك الدعوة. ويلحظ المرسَل إليه رغبة القصيبي القوية في استعطافه بنوع من الليونة، وهذا يتضافر مع الاستراتيجية التضامنية، فيحقق ثمرة التواصل التي ينشدها المرسِل ببيان أبعاد العلاقة بالآخر، وإظهار حرصه على البحث عن الحلول التي ينشد بها إقناع المرسَل إليه، والتأثير فيه بأسلوب الأمر الموجَّه إلى الآخر الذي يلتمس فيه رغبة المرسِل الشديدة في نيل رضاه.

ويتَّخذ القصيبي من الأمر وسيلة يفرض بها على المرسَل إليه مشاركته في رحلته الفضائية في المقالة المعنونة بـ"رحلة في الفضاء"، حين قال: «تعال معي في رحلة قصيرة نجوب خلالها الفضاء... فلننطلق بسفينتنا الضوئية وسنصل هناك بعد حوالي ثمانين ألف سنة!... فلنمض بمركبتنا الضوئيَّة في سفر يستغرق مليون سنة أو عشرة ملايين سنة أو مائة مليون سنة...» (١) حيث أنجز الأمر هنا معنى الالتماس والطّلب؛ لتساوي الرّتبة بين المرسِل والمرسَل إليه، وقد عمد القصيبي إلى استعمال هذا الأسلوب بقصد دفع المرسَل إليه إلى الارتقاء والسمو إلى معالي الأمور والترفع عن صغارها بمشاركته في تلك الرحلته للفضاء. فاستعمل أسلوب التّدرج الزمني في عرض مسافة الرّحلة، حيث بدأ بالمسافة القصيرة ثم الأطول فالأطول؛ ليستميل المرسَل إليه فيقبل الدَّعوة من ناحية، وليثبت مدى صغر حجم الإنسان بالنسبة للكون من حوله؛ فيسمو به عن الاشتغال بتوافه الأمور، ليدرك بأنه ليس محورًا للكون بل هو جزء لا يذكر منه من ناحية ثانية، وهو بذلك يؤكّد دعواه في عظمة خلق الله سبحانه بقصد الوصول إلى الإيمان الحقيقي بمبدع هذا الكون وخالقه سبحانه وتعالى:

---

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٣٢

دفع المرسَل إليه إلى التَّفكّر في عظم الكون، ليسمو به عن الاشتغال بصغائر الأمور

- فلنمض بسفينتنا الضّوئية في سفر يستغرق مليون سنة، أو عشرة ملايين سنة أو مائة مليون سنة.
- سنصل إلى المجرّة بعد ثمانين ألف سنة
- سنكون في الشّمس بعد ثمان دقائق من تحرّكنا
- سنكون في القمر بعد ثانية وثلث من انطلاقتنا
- رحلة قصير

شكل رقم (١٦)

وقد توسّل القصيبي بوسائل لغوية عِدّة لإنجاح عمليّة التواصل، حيث حاول جذب المرسَل إليه للإنصات له والتّلطف معه في الخطاب باستعمال الضمائر الدّالة على المشاركة؛ لتفعيل عمليّة التواصل، وتوصيل قصده بأقصر الطرق. ويمكن توضيح الوسائل اللغوية التي استعان بها القصيبي في الشّكل الآتي:

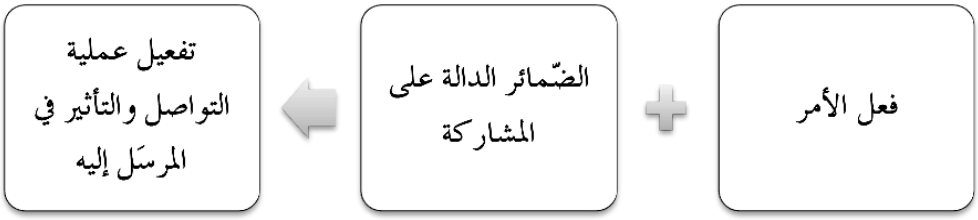

شكل رقم (١٧)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب-الحث والتحضيض:

قد يوجّه المرسِل الأمر للمرسَل إليه لترغيبه في فعل شيء في المستقبل، وقد جاء الأمر لهذا المعنى في ختام مقالة "عن الشّيوخ والشَّباب"، التي تحدّث فيها القصيبي عن الصّراع القائم بين شيوخ الأدباء وشبابهم، وانشغالهم بنسج النّقائض عن الالتفات إلى تلمس مواطن الإبداع في الأدب، في قوله: «أيُّها السَّادة! أنتجوا أدبًا ولا تضيِّعوا أوقاتنا وأوقاتكم في الهراء والنَّقائض» (١)، حيث اتخذ القصيبي من أسلوب الأمر وسيلة يحث بها المرسَل إليه على إنتاج الأدب الجيّد وتذوقه دون الالتفات إلى قائله محاولًا بذلك إخماد الصراع القائم بين شيوخ الأدباء وشبابهم. وقد استعان بوسائل لغوية متنوعة بدأها بالنداء الذي قصد من ورائه تنبيه الأدباء المعاصرين إلى أن الخطاب الوارد بعدها موجّه لهم دون غيرهم، ولقَّبهم بـ "السّادة" قاصدًا بذلك تلطيف الخطاب بإظهار تأدبه مع المرسَل إليهم، واحترامهم رغبة في إقبالهم عليه، واستمالتهم ليستجيبوا إلى الطلب المتمثّل في الأمر "أنتجوا أدبًا"، ويدعّم القصيبي قصده باستعمال أسلوب النهي "لا تضيِّعوا" الذي يمثِّل دعوة رجاءٍ للمخاطبين بألا يبددوا جهودهم في مثل تلك الصّراعات التي لا تعود على الأدب بطائل، وقد قصد القصيبي إلى توظيف تلك الأساليب اللغوية كلّها؛ لتفعيل عمليّة التواصل وتحقيق مقاصده من الخطاب. ويمكن توضيح ما سبق في الشّكل الآتي:

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٧٤

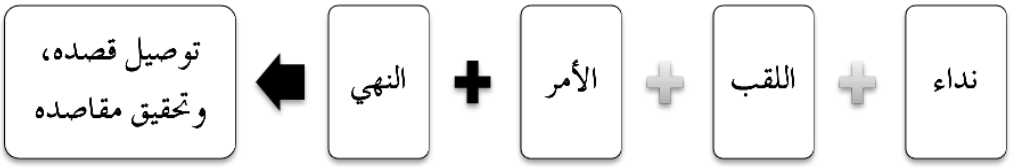

شكل رقم (١٨)

وورد استعمال القصيبي لأسلوب الأمر في المقالة المعنونة بـ "الإفلات من الذَّات" في قوله: «حاول أن تغمض عينيك وتنسى مشاكلك الصَّغيرة وتتصوَّر ما يدور في أماكن أخرى من العالم. تصوَّر الأطفال الذين يولدون هذه اللحظة...، تصوَّر أولئك الذَّين يودِّعون...، تصور بعد هذا الأعراس التي تتم على ظهر البسيطة في هذه اللحظة. انظر! هنا فتى وفتاة قررا أن يجابها الحياة معًا...، ثم تصور ما يتم هذه اللحظة من مواقف وداع أليمة...، ولكن تمرَّد على نفسك لحظة واحدة فقط! اذهب بخيالك إلى أقرب مستشفى. اذهب إلى غرفة بعيدة يموت فيها شيخ كبير...، ثم اذهب إلى غرفة أخرى يولد فيها طفل صغير...» [١] عمد القصيبي هنا إلى تكرار فعل الأمر "تصوّر"مع بداية كل مشهد؛ للفت انتباه المرسَل إليه، وليجعل التّواصل معه أكثر فاعلية فيبث بوساطة هذا الفعل الحياة إلى الحدث التواصلي حيث يضع المخاطب في شريط التصورات والتّأملات التي تساعد في الوصول إلى مقصده عبر طريق موجز مقنع، وقد توسّل إلى ذلك بتوظيف المقابلة؛ ليؤكّد للمرسَل إليه فكرته، وليرسّخ دعواه في التّحرر من سجن الذّات، مما زاد من فعاليّة العملية التواصلية.

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٤٠-٤١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ج- التحذير:

يعد التّحذير إحدى الوسائل التي يتحقق بها توجيه المرسَل إليه لما فيه منفعته دون غيره، ويستعمل هذا الأسلوب على درجتين من الصراحة أقواها التي يذكر المرسِل فيها لفظ التحذير صراحة، ولا يلجأ إليها عادة إلا بعد استنفاد سبل النصح الأخرى التلميحيّة، والتصريحية [١] .

وقد ورد استعمال التحذير متمثّلًا في اسم فعل الأمر "حذارِ" في المقالة المعنونة بـ"حذار! حذار! حذار!" التي يحذِّر فيها المرسَل إليه من بعض السَّلبيَّات التي انتشرت في المجتمع السعودي، حين قال: « _ حذار من أن يصبح مجتمعنا كمجتمعات اليونان والرومان القديمة يضم مجموعتين من البشر...

– حذار من أن يصبح حرصنا على حب كل ما هو سعودي بغضاً لكل ما هو غير سعودي.

– وحذار من أن ننسى أننا كنا إلى ما قبل مرحلة النفط نطلب رزقنا في شتَّى أنحاء العالم العربي...

وحذار من أن نعتقد أن المال قد أضفى علينا تفوقا على غيرنا ممن اضطرتهم الظروف إلى أن يعملوا معنا... هل بلغت؟ اللهم فاشهد!..» [٢]

وجّه القصيبي في المقطع السّابق خطابًا قويًّا يحذِّر فيه من تفشي الطبقية الاجتماعية بأشكالها في المجتمع السعودي، وقد برز معنى التحذير في المقطع السّابق من صورتين لغويتين؛ تمثّلت الأولى في التحذير الصّريح الذي توسّل إليه باستعمال اسم الفعل "حذار"، وقصد من تكراره في بداية كل

(١) الشهري. إستراتيجيات الخطاب: ٣٥٥، ٣٥٧

(٢) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٣٨

مقطع تنبيه المرسَل إليه إلى الخطر المترتب على القيام بتلك الممارسات، مما يشكّل ضغطًا عليه يدفعه إلى الاستجابة السريعة من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن التّكرار يضفي على النّص إيقاعًا يزيد من قوّة التأثير في المرسَل إليه، ويمكِّن معنى التحذير في نفسه. وتمثّلت الصّورة الثّانية في التحذير غير المباشر الذي ورد في ختام المقالة في قوله: «اللهم فاشهد!» [١] ؛ ليضفي على خطابه سلطة مستمدّة من سلطة الخطاب المنقول منه؛ لزيادة القوّة التّأثيرية لخطابه، وهي قوة مستمدّة من التّناص مع ما تكرر في "خطبة حجّة الوداع" من جهة، ومن جهة ثانية فإن القصيبي يحاول أن يبرئ بها نفسه أمام الله سبحانه وتعالى مما يلقي بالمسؤولية كاملة على عاتق المرسَل إليه، فيثير ذلك في نفسه الخوف الذي يدفعه إلى الاستجابة للمرسِل والانصياع له. وقد عدل القصيبي عن استعمال أسلوب الأمر إلى التحذير الذي يقع في مرتبة أدنى في القوّة من الأمر؛ إذ إنه «يوجّه المرسَل إليه لما فيه منفعته هو دون منفعة المرسِل أو منفعة غيره» [٢] ، فضلًا عن أن المرسِل لا يملك أي سلطة على المرسَل إليه تخوله لإنجاز معنى الأمر، فلجأ إلى استعمال التحذير؛ ليعطي «خطابه قبولًا من خلال حضور الصّراحة، التي تدل المرسَل إليه على صدق المرسِل في التوجيه، وبالتالي تكسبه الثّقة في خطابه» [٣] ، إضافة إلى أنّ في ذلك تخفيف حدّة التوجيه بتفعيل الإستراتيجية التضامنية بين المتخاطبين المتمثّلة في استعمال ضمائر الجمع دلالة على انتمائه للمجتمع نفسه، وحرصه على مصلحته فهو جزء لا يتجزّأ منه، وبهذا يضمن أن التّواصل قد تحقق وأدّى ثمارة .

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٣٨
(٢) الشهري. إستراتيجيات الخطاب: ٣٥٧
(٣) السَّابق: ٣٥٥

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٢. النهي:

هو «قول يتضمَّن طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية» [١] . أو هو حصول انتفاء متصوَّر، كقولك في النهي للمتحرِّك: (لا تتحرَّك) فإنَّك تطلب بهذا الكلام انتفاء الحركة في الخارج [٢] .

وقد يخرج النهي عن معناه الأصلي –طلب الكف–؛ لينجز معاني أخرى يشير إليها السِّياق الذي ورد فيه، «فأصل استعماله أن يكون على سبيل الاستعلاء؛ ليفيد الوجوب، ثم إن استُعمِل على سبيل التَّضرع كقول المبتهل إلى الله: "لا تكلني إلى نفسي" سمي دعاء، وإن استُعمِل في حق المساوي الرُّتبة سمي التماس، وإن استُعمِل في حق المستأذن سمِّي إباحة، وإن استُعمِل في مقام تسخط التَّرك سمي: تهديدًا» [٣] . وفي المدوّنة خرج النهَّي عن الأصل لينجز أمورًا تغيَّاها القصيبي، من أبرزها:

أ. التحذير:

استعمل القصيبي النهي في المقالة المعنونة بـ"خواطر حربائيَّة"؛ لتحذير المرسَل إليه، حين قال: «ولا تتسرَّع فتصب جام غضبك على هذا النَّموذج في السُّلوك والتَّعامل. لا تتسرَّع.. حتى لا تتورَّط في موقف حربائي!» [٤] عمد القصيبي إلى تحذير المرسَل إليه من التّسرع في الحكم

---

(١) العثيمين، محمد بن صالح. الأصول من علم الأصول: رسالة مختصرة في أصول الفقه. دار ابن الجوزي (المملكة العربية السّعودية– عنيزة، ١٤٣٠هـ): ٢٨

(٢) السَّكاكي. مفتاح العلوم:٣٠٤

(٣) السَّكاكي. مفتاح العلوم: ٢٢٠

(٤) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٧٧

على سلوكيَّات الناس مستعملًا أسلوب النهي، حيث كرر النهي "لا تتسرع"؛ ليفعّل التواصل مع المرسَل إليه، فيجعل ذهنه متيقظًا للكلام الوارد بعدها، مما يدفعه إلى التأمل في العواقب المترتبة على تلك الأفعال والتفكر فيها للوصول إلى مقصده بطريقة موجزة مقنعة، وقد لجأ القصيبي إلى توظيف الاسترتيجية التضامنية؛ لزيادة فعالية العملية التواصلية، وهذه الإستراتيجية التي يحاول من خلالها التقرب من المرسَل إليه، وإظهار حرصه عليه، واهتمامه به بتبرير النهي في قوله "حتى لا تتورَّط في موقف حربائي"، مما يساعد في تفعيل التواصل مع المرسَل إليه، وتحقيق الأثر.

ب. الطلب:

ورد النهي في ختام مقالة "المعوقون للغاية"، عندما قال: «لا تحسدوا هؤلاء المعوقين فهم يعيشون -كما يقول جبران- في "عالم بلا فصول حيث يضحكون فلا يضحكون من الأعماق..." لا تحسدوهم فما أحراهم بالرِّثاء والدُّعاء.. وربَّما البكاء!» (١)، فجاء النّهي لتوجيه الطلب للمرسَل إليه رغبة في استثارة عطفه وشفقته تجاه تلك الفئة من النَّاس متَّخذًا من النَّهي وسيلةً يزيد بها من قوَّة تأثير العبارة في المرسَل إليه بتوجيه الخطاب المباشر "لا تحسدوا هؤلاء"؛ لتنبيهه إلى الحال التي يعيشها المشار إليهم " الأنانيون". والمرسِل هنا لا يملك سلطة على المرسَل إليه مما دعاه إلى تبرير طلب الكف "النَّهي" عن الحسد بوصف حالهم الذي يثير في نفس القارئ شعور الشَّفقة والرَّحمة، فهم يحتاجون إلى الدُّعاء، وربَّما البكاء على حالهم، مما يدعِّم قصده، ويثبت صدق حكمه على تلك الفئة من النَّاس، وهو في الوقت

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٢٠

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

نفسه يحرّك أحاسيس المخاطب ويدفعه إلى التفاعل معه، ومشـــاركته آراءه وأفكاره، فيضمن بذلك نجاح التّواصل.

٣. الاستفهام:

يُسْتَعمل الاستفهام في الأصل لطلب الاستعلام لما تشك فيه، أو يهمّك ويعنيك شأنه [١] . إلا أنه قد يخرج عن الأصل إلى أغراض يقصدها المرسِل تُفهَم من سياق الخطاب [٢] ، وهو بهذا المعنى يحقق قوَّة إنجازية تواصـــلية يتوجّب على المرسَل إليه استثمار السياق، والمشيرات المقامية التي يقدِّمها المرسِل للوصول إليها، فتكون بذلك أفعالاً لغويّة غير مباشرة. من أبرزهـــا: التمني، والتقرير، والتعجُّب، والجحد والإنكار، والتوبيخ والتحذير، والتهديـــد والوعيد، والتعظيم والتهويل والتكثير، أو الاستخفاف والتحقير أو التصغير، والتَّسوية، والاستهزاء والسخرية... وغيرها من المعاني التـــي يستشـــفها المرسَل إليه من خلال السِّياق [٣] .

وقد كان للاستفهام ثقله في مقالات القصيبي، حيث وظّفـــه لإنجـــاز أغراض شتى، من أهمّها:

---

(١) السَّكاكي، يوسف ابن أبي بكر محمد بن. مفتاح العلوم. تـــح: نعـــيم زرزور. دار الكتـــب العلمية (لبنان– بيروت، ط: ١٤٠٧،١هـ–١٩٨٧): ٣١٧

(٢) ابن فارس، أحمد. الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تح: المكتبة السَّلفية. مطبعة المؤيد (مصر– القاهرة، ١٣٢٨هـ– ١٩١٠): ١٥٢

(٣) للاستزادة يُنظر: السَّكاكي. مفتاح العلوم: ٣١٤–٣١٦، وعضيمة، محمد عبـــد الخـــالق. دراسات لأسلوب القرآن الكريم. ج:٣. دار الحديث (مصر– القاهرة، ١٩٧٢م): ٩٤–١٠٠، وابن فارس (أحمد). الصاحبي في فقه اللغة: ١٥٢– ١٥٤

أ- التَّقرير:

هو الاستفهام الذي يُقْصَد به إقرار المرسَل إليه على الكلام الوارد بعده، أو هو: «حملك المخاطب على الإقرار أو الاعتراف بأمر قد استقر عنده ثبوته أو نفيه» (١) . وورد الاستفهام بهذا المعنى في كلام القصيبي في المقالة المعنونة بـ "عن الشيوخ والشباب" متعجبًا من طريقة تقييم الأدباء والشعراء للأدب، فقيمة الأدب تظهر فيما يتضمنه من إبداع لا في عمر الأديب أو مكانته الاجتماعيَّة، حين قال: «التَّاريخ الأدبي مصاب بعمى الألوان بجميع أنواعه وأصنافه وأعراضه المختلفة. هو مصاب بعمى الألوان فيما يتعلّق بالمناصب والوظائف والألقاب. من منَّا اليوم يهمُّه أن أبا تمام كان "وزير البريد" في الموصل؟! أو أن ابن المعتز كان خليفة لمدَّة ٢٤ ساعة؟ أو أن المتنبي لم يكن ابن سقّا بل ابن أحد كبار العلويين.... لقد كتب طرفة بن العبد رائعته قبل أن يبلغ الثالثة والعشرين فهل قال أحد إنها يجب أن تستبعد لأن الشاعر حدث غر قليل التَّجربة ضحل الثَّقافة؟!... ومن ناحية أخرى كتب شوقي "مجنون ليلى" بعد أن جاوز الستين فهل طالب أحد بحرقها باعتبار الشاعر "شيخًا لا يفهم في الحب"؟» (٢) يُلحَظُ في المقطع السّابق أنَّ التكثيف من الاستفهام جاء لتحقيق غرض في نفس القصيبي يتمثّل في إظهار تعجبه وحيرته من الطريقة التي اتخذها النقاد المحدثون في تقييم الأدب، وتقرير الخبر الوارد في بداية الفقرة "أن التاريخ الأدبي مصاب بعمى الألوان" في ذهن المرسَل إليه، فالاستفهام الآن محور العمليّة التواصلية

---

(١) ابن هشام، الأنصاري مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تح: الفاخوري. دار الجيل (لبنان-بيروت، ط:٢، ١٤١٧ه-١٩٩٧م): ٣١

(٢) القصيبي. في رأيي المتواضع:٧٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الذي ارتكز عليه المرسِل؛ لتوجيه ذهن المرسَل إليه إلى رؤية واضحة سليمة تسعفه في تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تراكمت لديه، بإيراد نماذج لشعراء اشتهروا بإبداعم الشعري دون النظر إلى مكانتهم الاجتماعية أو أعمارهم. إلى جانب ذلك استعان القصيبي بأساليب أخرى تعمل على إنجاز الفعل التواصلي الذي يَقصِد إليه، من أبرزها الإشارة إلى الفكرة التي يريد تقريرها في ذهن المرسل إليه في بداية الفقرة حين أشار إلى أن التّاريخ الأدبي مصاب بعمى الألوان، وتوظيف الخلفية المعرفية المشتركة المتمثّلة في أسماء الأدباء الذين استشهد بهم لإثبات صحة رأيه، وقوة منطقه فهؤلاء لهم وقعهم في الموروث الثَّقافي والأدبي، فيوجّه بذلك المرسَل إليه إلى الطريقة الصحيحة لتقييم الأدب التي صرّح بها في نهاية المقال، ويقنعه بها بعيدًا عن كل الأمور التي لا تمت إلى جوهره بصلة. ويمكن توضيح الوسائل التي استعان بها القصيبي لتحقيق قصده في المقطع السابق في الشكل الآتي:

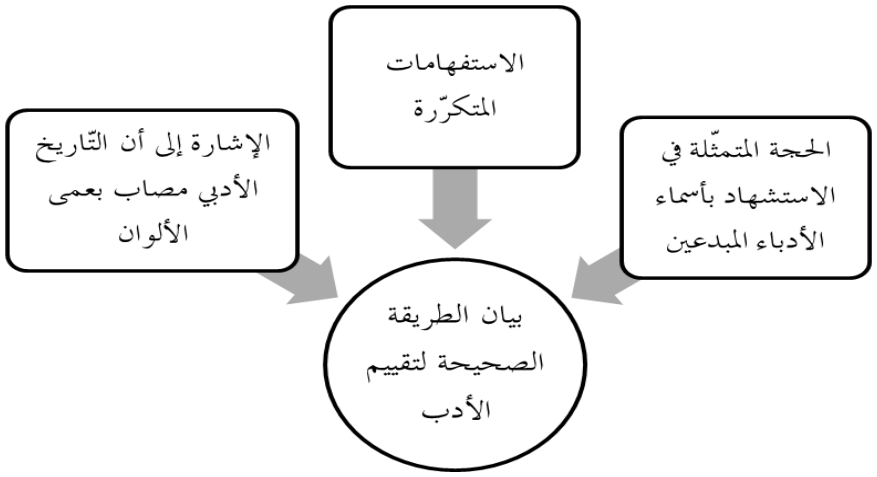

شكل رقم (١٩)

كما أن الاستفهام نهض بوظيفة مهمة في الإقرار بتحقق الإبلاغ في ختام المقالة المعنونة بـ "حذار! حذار! حذار!"، في قوله: «هل بلَّغت؟ اللهم فاشهد» [١] حيث ختم القصيبي مقالته -التي حذّر فيها المرسَل إليه من انتشار مظاهر الطبقية في المجتمع السعودي، وضرورة الحد منها- بأسلوب الاستفهام التّقريري الذي لا يُقصَد منه الاستخبار حقيقة، إنما جيء به لتقرير تحقق الإبلاغ "التحذير من تلك المظاهر" وإبراء الذِّمة، وقد عدل القصيبي عن الصّيغة الإبلاغيّة إلى الاستفهام التّقريري؛ ليكون التّقرير أشد وأبلغ في نفس المرسَل إليه، ويزيد من قوّة الخطاب التحذيرية، فضلًا عن وظيفته في العمل على استمرارية التواصل ولفت انتباه المرسَل إليه إلى أهمية الرسالة [٢] .

ب-استثارة ذهن المرسَل إليه:

يستعمل الاستفهام بعدّه منبّهًا أسلوبيًّا يعمل على تنبيه المرسَل إليه ويبعِد الإبهام واللبس عنه عند دخوله، ويحفِّز ذهنه لينقله من حال الاستفهام إلى حال التدبّر ومفاجأة الأمر ليكون مستعدًّا ذهنيًّا لذلك [٣] ، فيخرج بذلك الاستفهام عن معناه الأصلي لينجز معنى جديدًا وهو تنبيه ذهن المرسَل إليه وإيقاظ استعداداته لتقبل الفكرة واستقرارها فيه.

---

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٣٨

(٢) زبن، رانيا رمضان أحمد. اللسانيات التّواصليّة وجذورها في التّراث النحوي العربي. دار جليس الزّمان (الأدرن- عمّان، ط:١، ٢٠١٥): ٩٦

(٣) الخفاجي، بان. مراعاة المخاطب في النَّحو العربي. دار الكتب العلميَّة (لبنان- بيروت، ط:١، ٢٠٠٨): ٢٥٢

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد عمد القصيبي إلى الاستفهام بقصد استدراج المرسَل إليه بطرح الأسئلة المتتالية التي لا يقصد بها استخباره، بل جذب انتباهه إلى الكلام الوارد بعده، وجاء ذلك في المقالة الموسومة بـ "جولة في ذهن إرهابي حضاري"، حيثُ قال: «يبدأ موشي ديّان رحلة السلام بهديّة قدمها للوسيط الذي كان يحاول ترتيب لقاء بين مصر وإسرائيل، وهو شخص عربي مسلم. ما هي الهديّة؟ حمامة سلام مثلًا؟ غصن زيتون مثلًا؟ هديَّة ذات مفهوم محايد، وهذا أضعف الإيمان؟ كلا أيها السادة! الهدية سهم وسيف!» (١)، فجاء الاستفهام في قوله "ماهي الهديّة" لإيقاظ استعدادات المرسَل إليه الذهنية إلى مضمون الخبر، ثم تلاحقت الاستفهامات التي لا ينتظر إجابات عنها بل الغرض منها مد جسور التواصل بين أطراف العمليّة التواصليّة؛ ليهيئ بذلك نفسية المرسَل إليه، ويشوقه ليقبل على قراءة النص والتعرف على مضمون الهدية. ثم يفاجئ القصيبي المرسَل إليه ويكسر أفق توقعه بقوله: «كلَّا أيها السّادة! الهدية سهم وسيف!» مما يُحدِث صدمة تولِّد انفعال الدهشة والاستغراب بغرض إيصال المعنى المتضمن في القول، وهو التّهكم والسخرية من الضعف العربي آنذاك بالإشارة إلى انعدام الحاجة إلى الأسلحة للانتصار عليهم فقد بلغوا من الضّعف والهوان ما جعلهم يستغنون عن تلك الأسلحة. وقد وظّف القصيبي إضافة إلى الاستفهام وسائل لغوية أخرى مثل النفي بـ "كلّا" لينفي بها كل الاحتمالات السّابقة، ويقرر بها المعنى المتضمن في القول –الذي أشرت إليه سابقًا–، ويؤكّد القصيبي المعنى السّابق بتوظيف كلام ديّان نفسه الذي اقتبسه من كتابه "الإنجاز" حين قال: «وحتى لا يضيع مدلول الهديَّة يمضي ديَّان قائلًا للوسيط: "لقد تمكَّن

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٢٧

الإسرائيليّون بمثل هذه الأسلحة أن يخضعوا ممالك الكنعانيين والدّول المجاورة بعد أربعين سنة من هجرتهم من مصر"» [١] ، ويمكن توضيح الآليات التي استعملها القصيبي للفت انتباه المرسَل إليه إلى الضعف العربي في الشكل الآتي:

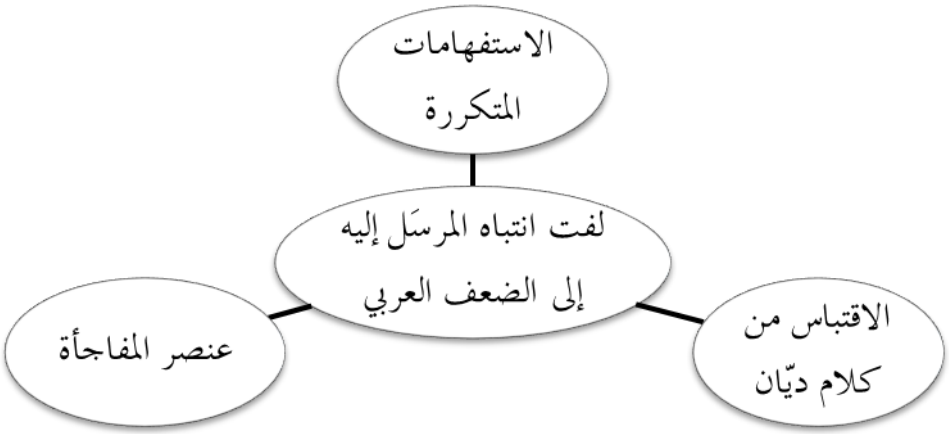

شكل رقم (٢٠)

وفي المقالة المعنونة بـ "في بيتي سيّارة مرسيدس وثلاث سمكات" وظّف الاستفهام لاستثارة ذهن المرسَل إليه في قوله: «وهذا الأسبوع لأول مرّة في حياتي امتلكت سيَّارة مرسيدس. وكانت فرحتي بها لا تعادلها فرحة. السيّارة شاحنة إلا أنها شاحنة من طراز غريب. فطولها لا يتجاوز المترين. وهي لا تتحرَّك إلا إذا دفعتها. وحمولتها لا تتجاوز عشرين كيلو جرامًا! لماذا فرحت بها كل هذه الفرحة؟! لأنها من صنع شباب سعوديين يتدرّبون حاليًّا في المركز المهني التّابع للشركة الوطنيّة لصناعة السَّيارات في جدة!»[٢] ، حيث عبّر القصيبي هنا عن فرحته الشديدة لامتلاكه أول سيارة

(١) السّابق نفسه

(٢) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٨١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مرسيدس في حياته على الرّغم من أنها سيارة متواضعة المواصفات، مما يثير شعور الدّهشة لدى المرسَل إليه، ثم أورد الاستفهام الذي لا ينتظر من ورائه الإجابة، بل أجاب عنه هو مباشرة في قوله: « لماذا فرحت بها كل هذه الفرحة؟! لأنها من صنع شباب سعوديين...»؛ فقام الاستفهام لإستثارة فضول المرسَل إليه، وتشويقه للتعرف على السبب الذي دفع القصيبي إلى الفرح بتلك السّيارة كل الفرح، مما يفعل العملية التواصلية ويسهم في استمراريتها. وفي الواقع أن القصيبي قصد من وراء الاستفهام غرضين آخرين تمثّل الأول في بيان فخره بالإنجاز الذي حققه الشّباب السعوديون على الرّغم من تواضعه، وتمثَّل الغرض الثَّاني في تشجيع الشَّباب السعوديين على العمل والإنجاز لتحقيق الأفضل. ويمكن إظهار المعاني التي أداها الاستفهام في الشكل الآتي:

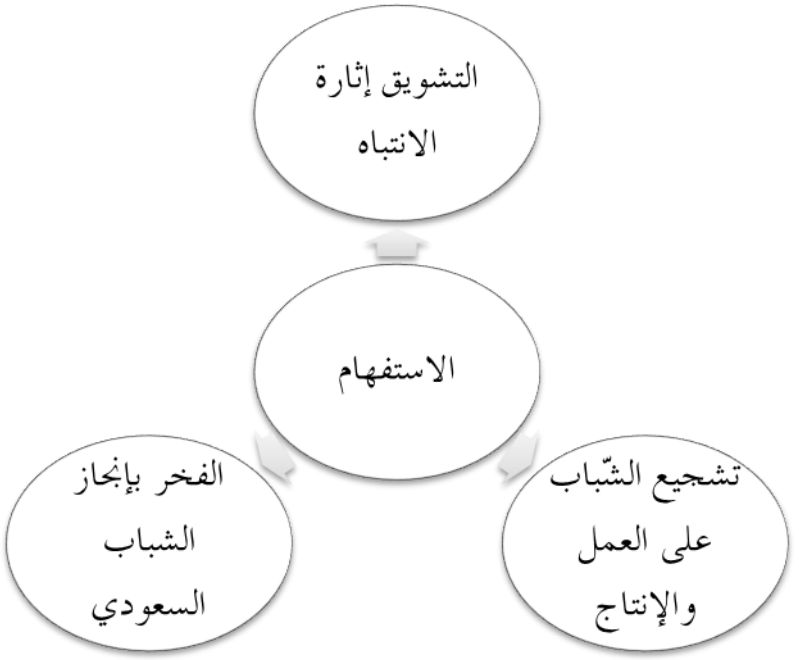

شكل رقم (٢١)

كما جاء الاستفهام في بداية المقالة المعنونة بـ"مقابلة صحفيَّة مع المتنبي" في قوله:«سيدي أبا الطيِّب.. من أنت؟، من هو أبوك؟ [١] »؛ لتفعيل التواصل بتنبيه المرسَل إليه إلى مدى اعتداد المتنبي بأدبه الذي ذاع وانتشر صيته في أصقاع المعمورة، واعتداده بنفسه، وتقرير تلك السِّمة البارزة في أدبه مهما تعددت أغراضه، ويظهر ذلك المعنى في اختياره للأبيات التي يجيب بها عن أسئلته حين قال: «سيدي أبا الطيِّب.. من أنت؟

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم

من هو أبوك؟

- ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجدودي» [٢] .

كما استعان القصيبي بقوّة الاستفهام الإنجازيّة رغبة في مد جسور التواصل بينه وبين المرسَل إليه لتفعيل العملية التواصلية في المقالة المعنونة بـ "لا إله إلا الله" حين قال: «" لا إله إلا الله" كم مرَّة نقولها في اليوم والليلة؟ نقولها مع كل أذان ومع كل إقامة ومع كل صلاة ومع كل دعاء...» [٣] فقد افتتح القصيبي مقالته بالاستفهام؛ ليكون مدخلاً لافتًا للمرسَل إليه يجذب به انتباهه، ويشوّقه لمواصلة القراءة والتعرف على مضمون النّص، فالاستفهام هنا يمثّل قوّة إنجازية تستلزم تنبيه المرسَل إليهم إلى كثرة ترديدهم لكلمة التوحيد دون العمل بمقتضاها، وهو هنا خرج عن معناه الأصلي وهو الاستخبار إلى معنى التّكثير. والقصيبي في هذا النّص

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٥١
(٢) السَّابق نفسه.
(٣) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٤٦، ٤٨

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يتناول موضوعًا حسّاسًا يمس عقيدة المرسَل إليه مما دفعه إلى تفعيل الإستراتيجية التضامنية المتمثلة في إشراك نفسه مع المخاطب في الخطاب، فيستثمرها في كسب المرسَل إليه وضمان سيرورة التواصل بينهما؛ من أجل تحقيق هدفه من الخطاب.

واستعمَل القصيبي الاستفهام لتنبيه المرسَل إليه إلى الخبر الذي يقصده، ويستثير اهتمامه به فيقول في المقالة الموسومة بـ"الحلم الأمريكي مبعثرًا!": «ما هو الحلم الأمريكي؟ هو الاعتقاد أن نظام الحكم في أمريكا – من الشّعب إلى الشّعب بالشّعب– هو أفضل نظام عرفته البشرية في تاريخها الطويل، هو الثقة المطلقة في القدرة على التغلب على المشاكل، هو الإيمان بأن الرّخاء قدر الشّعب الأمريكي المحتوم: إن بإمكان كل أمريكي عن طريق الجد والعمل أن يتحول إلى مليونير... ماذا حدث؟ عندما رأيت الولايات المتحدة لأول مرة، رأيت الحلم الأمريكي في قمة عنفوانه... »[١]، جاء الاستفهام في المقطع السّابق لجذب انتباه المرسَل إليه، وتشويقه للتعرف على الخبر الوارد بعدها، مما يسهم في استمرارية التواصل مع المرسَل إليه، وتحقيق الهدف المنشود من النّص.

ج- توجيه المرسَل إليه:

توسَّل القصيبي بالاستفهام إلى حمل المخاطب على القيام بعمل ما، وتوجيهه إلى خيار واحد يسيطر به على ذهنه، ويُسَيِّرُ الخطاب بحسب ما يريد[٢]، من ذلك الاستفهام الوارد في المقالة المعنونة بـ "رحلة في

(١) السَّابق نفسه: ٦٢
(٢) الشهري. إستراتيجيات الخطاب: ٣٥٢

الفضاء" في قوله: «هل تعرف أن المراصد اكتشفت وجود مالا يقل عن ألف مليون مجموعة شمسية...؟، وهل تعرف أن بعض هذه المجموعات يبعد عن أرضنا بأكثر من مليون سنة ضوئيّة؟ بعبارة أخرى هل تعرف أن الضوء الذي يصل مراصدنا هذه اللحظة قد غادر مجموعة شمسيَّة ما قبل ألف مليون سنة؟!» [١]، يهدف القصيبي من الاستفهامات المتلاحقة التي خرجت عن معناها الأصلي إلى استفهام تعجبي يستلزم إثارة مشاعر المرسَل إليه، وتوجيه ذهنه إلى الطريقة التي يحقق بها ثمرة التّواصل التي يسعى إليها، وهي التّأمل في عِظَم الكون من حوله، والتّفكر فيه؛ ليرسّخ في نفسه الإيمان الحق بخالقه، مما يعزز تقوى الله في نفسه ويرسِّخ فيها الإيمان الحقّ بالله جلَّ وعلا، فيتولد في نفسه شعور التواضع لله عز وجل والبعد عن الكبر والغرور.

وفي المقالة المعنونة بـ "لطائف الحصافة في التَّفرقة بين الكرم والضِّيافة" جاء الاستفهام لتوجيه المرسَل إليه إلى الطريقة التي يكون بها الإنسان كريمًا، حين قال: «وبإمكانه -بكل تأكيد- أن يكون كريمًا إلى أقصى الحدود دون اللجوء إلى الخرفان! كيف؟ خلال معظم تاريخنا كانت الضيافة والكرم وجهين لعملة واحدة...» [٢] فالقصيبي لا ينتظر من المخاطب الإجابة عن سؤاله فقد أجاب وفصّل بعد السّؤال مباشرة، إنما قصد منه تفعيل التواصل معه بجذبه لمواصلة القراءة للتعرف على الطريقة التي تحقق له هدفه في "أن يكون كريمًا بالمعنى الحقيقي للكرم" -من وجهة نظره-، وذلك

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع:٣٢
(٢) السَّابق: ١٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بتقديم العون والمساعدة لمن يحتاجها، بذلك يضمن إيصال قصده للمرسَل إليه محاولًا إقناعه بفكرته، وتغيير فكره.

ووظّف القصيبي الاستفهام في ختام المقالة المعنونة بـ"من عجائب النَّبوغ العربي" بعد أن أشار إلى امتداد عبث ذوي السّلطة والمال والجاه إلى المجالات السّياسية والعسكرية؛ ليوجّه به عناية المرسَل إليه إلى خطر هذه الظّاهرة على المجتمعات العربية، وضرورة محاربتها، حين قال: «بل إن النبوغ العربي لا يعترف بالفرق بين نبوغ "عسكري" ونبوغ "مدني". ما بين غمضة عين وانتباهتها يتحوّل الضّابط الذي لم يرَ مزرعة في حياته إلى خبير في زراعة الذرة ... رب مدني لا يعرف الفرق بين "الرّقيب" والنّقيب" ... أصبح ذات يوم وفي يده عصا "المارشالية". ونتساءل بعد ذلك: لماذا ننهزم أمام إسرائيل؟!» [(١)] ، ختم القصيبي مقالته بالاستفهام الذي يتعجب به من جهل العرب بسبب ضعفهم، وانهزامهم أمام إسرائيل، وهو هنا يوجه عناية المرسَل إليه إلى خطر هذه الظَّاهرة، فهي أحد أهم الأسباب الرئيسة التي أدت إلى ضعف العرب وانهزامهم أمام إسرائل؛ جرَّاء إيلاء المناصب لغير ذوي الخبرة، معتمدين في ذلك على مكانته الاجتماعية ونفوذه السياسي. فالاستفهام هنا خرج عن معناه الأصلي إلى التّعجب؛ رغبة في تنفير المرسَل إليهم من تلك الظاهرة التي ظهرت ظهورًا لافتًا في مجالات الحياة المختلفة في المجتمعات العربية، بالإشارة إلى ضرورة محاربتها؛ للارتقاء بالأمة العربية نحو الأفضل. ويمكن إيضاح الأغراض المنجزة بواسطة الاستفهام في المقطع السابق في الشّكل الآتي:

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٧١

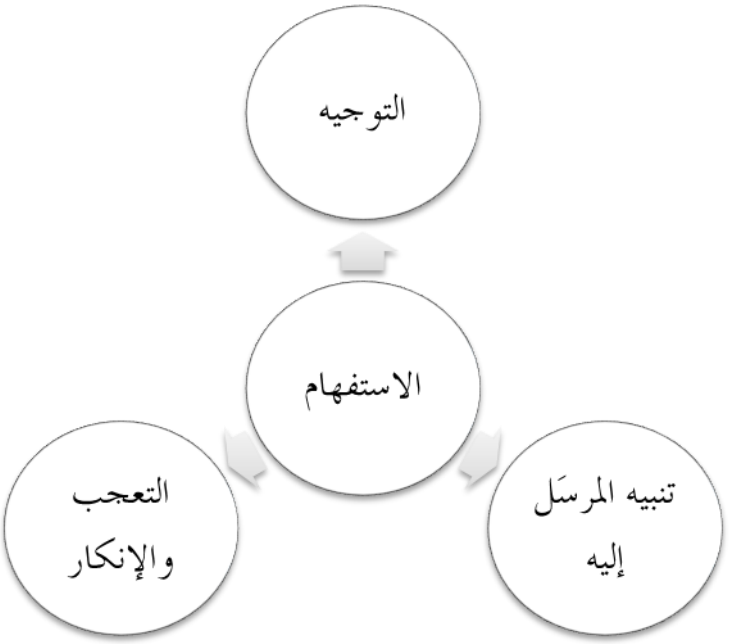

شكل رقم (٢٢)

وقد جاء ذلك في المقالة الموسومة بـ"رحلة في الفضاء" حين قال: «بعد هذا كلِّه ألا تستغرب من إنسان هذه الأرض الذي يطفو على سطح الخليقة كما تطفو جرثومة ميكروسكوبية على سطح المحيط ويستطيع أن ينتفخ غرورًا وزهوًّا وإعجابًا بنفسه؟» (١) **حيث جاء الاستفهام الإنكاري لإثارة دهشة المرسَل إليه، وإنكار تجرُّؤ المشار إليه على ذلك الفعل – الانتفاخ غرورا وإعجابًا بنفسه–؛ بغية تنفير المخاطب من خصلة الغرور والاعتداد بالنَّفس. وقد تضافر مع أسلوب الاستفهام أسلوب التّشبيه الذي قصد من ورائه توضيح الصورة التي قصدها، مما يدفع القارئ إلى تّأملها، والتفكر فيها؛ ليدرك بذلك صغر حجمه، وحقارته قياسًا إلى الكون العظيم من حوله، ولينفر المرسَل إليه من تلك الخصلة.**

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع:٣٤

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

من هنا تظهر الوظيفة البارزة للاستفهام بعده قوَّة إنجازية تسهم في تحقيق الفائدة للمرسل إليه، وإقناعه، مما يجعل الخطاب ذا قوَّة إنجازية أكبر تزيد من قدرة المرسِل على التواصل وتحقيق غاياته مـــن وراء الخطـــاب. ويمكن تلخيص المعاني التي أفادها الاستفهام عند القصيبي في الشّكل الآتي:

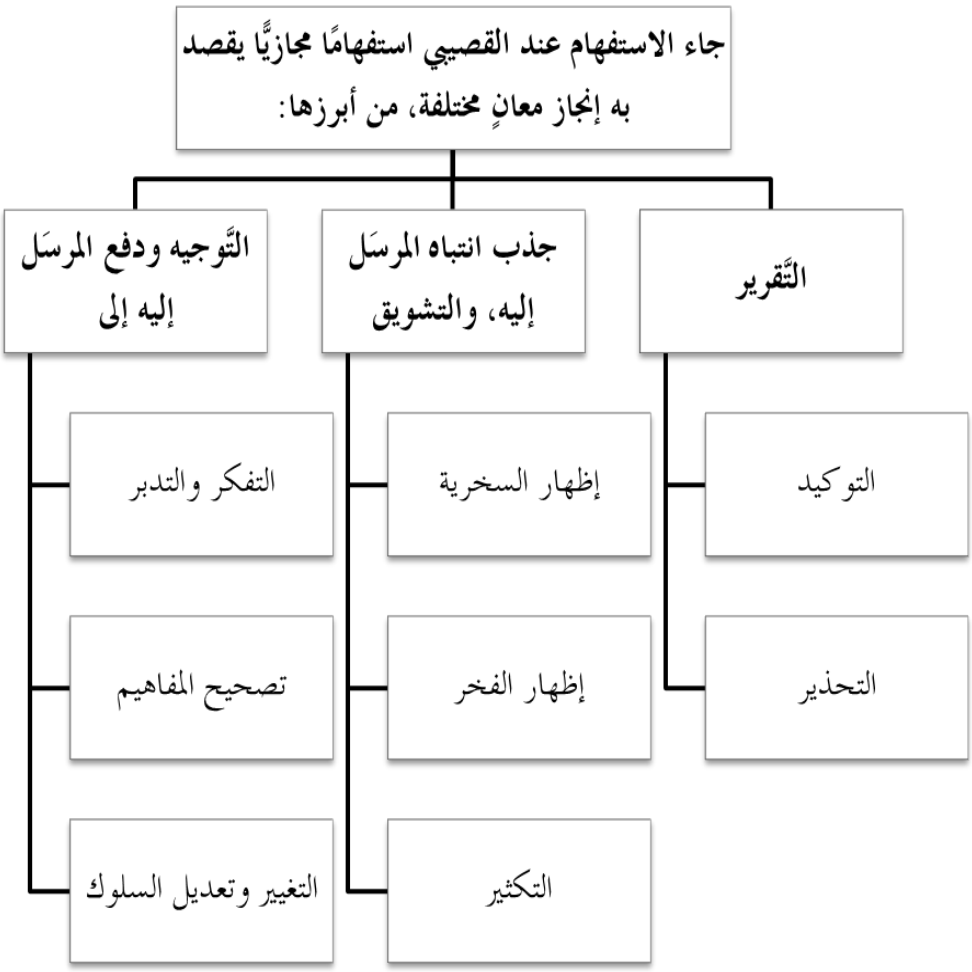

شكل رقم (٢٣)

٤. النداء:

هو واحد من أساليب الطلب، أصلُه تنبيهُ المرسَل إليه؛ ليُقْبِل عليك بحروف مخصوصة، وهي ستة: "يا"، و"أيا"، و"هَيا"، و"أي"، والهمزةُ، و"وا". فالثلاثةُ الأوُلُ يستعملونها إذا كان المرسَل إليه بعيدًا أو ساهيًا أو غافلًا أو نائمًا، و"أي" والهمزةُ تُستعملان إذا كان المرسَل إليه قريبًا [١] . وقد عامل النحويون السّاهي أو الغافل أو النّائم معاملة البعيد؛ «لأنهم غير حاضرين ذهنيًّا وقت التّكلم...، ولو لم يحس المتكلّم إعراضًا أو عدم انتباه من المخاطب لما استخدم هذه الحروف لصرف تنبه المخاطب إليه» [٢] .

وقد جاء استعمال النّداء في الحوار القائم بين القصيبي وابنه "نجاد" في المقالة المعنونة بـ "حوار في الشّمس.. مع نجاد!"، حيث يتجاذب الحديث هو وابنه فيبدأ الحوار على لسان نجاد بقوله: «- يتصوّر الواحد منكم وقد أعطي منصبًا وأثث مكتبًا فخمًا ورتّب له قائمة مواعيد يتصوّر أن العالم سيكف عن الدّوران دونه.

-يا ولد! عيب!

- ويتصور الواحد منكم أن هذه السّاعات التي يقضيها على كرسيّه الوثير أو مثرثرًا مع زائريه أو متجولًا على مشاريعه، يتصوّر أن هذه السَّاعات ستغير معنى التَّاريخ!

- يا ولد! لا تكلم أباك بهذه الطّريقة!

---

(١) ابن يعيش. شرح المفصّل. ج:٨: ١١٨، ١٢٠

(٢) زبن، رانيا رمضان أحمد. اللسانيات التواصلية: ١٣١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

– دعني أكلمك بصراحة فمن لعنات المنصب أنه كلّما ارتفعت درجة كلّما انخفضت درجة الصّراحة عند المتحدّثين إلى شاغله.

– نجاد! من علّمك هذه الفلسفة؟!» [(١)] . ورد النّداء في المقطع السّابق لغرضين اثنين، أولهما: التنبيه، ويظهر ذلك حين قال: "يا ولد! عيب!..."، و"يا ولد! لا تكلّم أباك بهذه الطّريقة..."، فهو يقصد من ورائه تنبيه الولد إلى جرأته، وثنيه عن الاستمرار في الحديث بهذا الأسلوب. والثّاني: التّخصيص المتمثّل في تخصيص المنادى بالطّلب الوارد بعده في قوله: "يا ولد! لا تكلّم أباك بهذه الطّريقة"، وأثناء استمرار العملية التواصليّة بين الذّاتين وتناميها، اختلف أسلوب النّداء فبعد أن كان يذكر أداة النّداء مع تجريد المخاطب من اسمه بإطلاق كلمة "ولد" عليه بغية إظهار السّلطة، صار نداء الولد باسمه مجرَّدًا من أداة النّداء؛ لإظهار قوة انفعاله على ابنه، ولمضاعفة التنبيه مما يُلزِم الابن التوقف عن إطلاق مثل تلك العبارات التي تستفز والده؛ ليحقق بذلك القصيبي قصده من التواصل. ويمكن توضيح هذا التطور في الشّكل الآتي:

شكل رقم (٢٤)

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٥٩-٦٠

كما ورد النّداء في ختام مقالة "عن الشّيوخ والشّباب" حيث قال: «أيها السّادة! أنتجوا أدبًا ولا تضيعوا أوقاتنا وأوقاتكم في الهراء والنّقائض»[١] فالنّداء ههنا نهض بوظيفة مهمة جدًّا تتمثّل في تنبيه الأدباء إلى أنهم المعنيون بالخطاب الوارد بعدها وحمله على الإصغاء والالتفات إليه، ويعزز معنى التنبيه وجود "الهاء" «المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين: معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه، ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الإضافة» [٢] ، فلا يتوهم بعد ذلك أن المقصود بالكلام غيرهم، فالنّداء أفاد إلى جانب التنبيه معنى التخصيص مما يسهم في تفعيل التواصل بينهما. وقد حُذِف حرف النّداء هنا تخفيفًا لتحقق معنى التنبيه من غير ذكرها، والنّداء هنا قام بوظيفة تسهم في تفعيل عرى التواصل بين المتخاطبين، وذلك نتيجة لتعالي صوت القصيبي، الذي يدفع المرسَل إليهم إلى الاهتمام بما يقول، والالتفات لتوجيهاته المتمثّلة في فعلي الأمر "انتجوا... لا تضيّعوا" الموجهة إليهم.

(١) القصيبي. في رأيي المتواضع: ٧٤

(٢) الزّمخشري، محمود بن عمر الزّمخشري. تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون التّأويل. دار المعرفة (لبنان- بيروت، ط:٣، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩):٥٦

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الخاتمة:

نخلص في هذه الدراسة إلى اهتمام القصيبي بالمرسَل إليه، ومثوله في ذهنه بصورة واضحة قبل وأثناء كتابة مقالاته، فقد كان لذلك أثر بالغ في صياغة العبارات اللغوية، وتحديد الأساليب المناسبة لأحواله المختلفة، مما جعل خطابه أكثر تأثيرًا في المرسَل إليه. ويمكن تلخيص النتائج في النقاط الآتية:

– كان للإستراتيجية التوجيهية أثرٌ واضحٌ في تحقيق العملية التواصلية من خلال توظيف الأساليب التي تمنح الخطاب قوّة تأثيرية أكبر.

– حرص القصيبي على التنويع في استعمال الأساليب التوجيهية غير المباشرة التي تمثلت في: الاستفهام، والأمر، والنهي، والتّحذير، والنداء معتمدًا على قدرة المرسَل إليه في توظيف السّياق والأحداث المعاصرة للوصول إلى المعاني الثاوية خلفها.

– يظهر اهتمام القصيبي بالمرسَل إليه جليًّا في بروز الوظيفة الإفهامية التي تجلت من خلال الإستراتيجية التوجيهية التي منحت الخطاب قوة تأثيرية أكبر خاصة في المقالات التي تناولت المواضيع الاجتماعية؛ إذ يقصد من ورائها التغيير وإحداث الأثر في المرسَل إليه.

– كان للاستفهام حضورٌ بارزٌ في مقالات القصيبي، حيث كان له ثقله في إنجاز معانٍ أسهمت في زيادة القوَّة الإنجازية للخطاب؛ للتَّأثير في المرسَل إليه، وتحقيق العملية التواصلية.

المصادر والمراجع:

- أوكَان، عمر. اللغة والخطاب. أفريقيا الشرق (المغرب- الدّار البيضاء، د.ط، ٢٠٠١م)
- بومزبر، الطاهر بن حسن. التَّواصل اللساني والشعرية: مقاربة تحليلية لنظرية رومان جاكبسون. منشورات الاختلاف (الجزائر، ط:١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)
- الخفاجي، بان. مراعاة المخاطب في النَّحو العربي. دار الكتب العلميَّة (لبنان- بيروت، ط:١، ٢٠٠٨)
- زبن، رانيا رمضان أحمد. اللسانيات التّواصليّة وجذورها في التّراث النحوي العربي. دار جليس الزّمان (الأدرن- عمّان، ط:١، ٢٠١٥)
- الزّمخشري، محمود بن عمر الزّمخشري. تفسير الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون التّأويل. دار المعرفة (لبنان- بيروت، ط:١٤٣٠،٣هـ- ٢٠٠٩)
- السَّكاكي، يوسف ابن أبي بكر محمد بن. مفتاح العلوم. تح: نعيم زرزور. دار الكتب العلمية (لبنان- بيروت، ط:٢، ١٤٠٧،١هـ-١٩٨٧)
- الشهري، عبد الهادي بن ظافر. إستراتيجيات الخطاب: مقاربة لغويّة تداولية. دار الكتاب الجديد (لبنان-بيروت، ط:١، ٢٠٠٤).
- العثيمين، محمد بن صالح. الأصول من علم الأصول: رسالة مختصرة في أصول الفقه. دار ابن الجوزي (المملكة العربية السّعودية- عنيزة، ١٤٣٠هـ)

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- عضيمة، محمد عبد الخالق. دراسات لأسلوب القرآن الكـريم. ج:٣. دار الحديث (مصر- القاهرة، ١٩٧٢م)
- الغزالي، عبدالقادر. اللسانيات ونظريـة التواصـل: رومـان ياكبسـون نموذجا. دار الحوار (سورية- اللاذقية، ط:١، ٢٠٠٣م)
- ابن فارس، أحمد. الصّاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها. تـح: المكتبة السَّلفية. مطبعة المؤيد (مصر- القاهرة، ١٣٢٨ه- ١٩١٠)
- القزويني، وابن يعقوب المغربي، وبهاء الدِّين السَّبكي. شروح التَّلخيص. دار الكتب العلميَّة. ج:٢. دار الكتب العلميَّة (لبنان-بيروت، د.ط، د.ت)
- القصيبي، غازي بن عبدالرحمن. في رأيي المتواضع. تهامـة (المملكـة العربية السّعودية- جدّة، ط:٢، ١٤٠٤ه-١٩٨٤م)
- القيس، امرؤ. ديوان امرئ القيس. تح: محمد أبو الفضل إبـراهيم. دار المعارف (مصر- القاهرة، ط:٤، ١٩٨٤م)
- المسدّي، عبد السّلام. الأسلوبية والأسلوب. الدار العربية للكتاب (تونس- طرابلس، ط:٣)
- ابن هشام، الأنصاري مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تح: الفـاخوري. دار الجيل (لبنان- بيروت، ط:٢، ١٤١٧ه-١٩٩٧م)

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٥٧٣
٢.	Abstract	٥٥٧٤
٣.	مُقدمة:	٥٥٧٥
٤.	الاستراتيجية التوجيهية:	٥٥٧٧
٥.	الأمر:	٥٥٧٨
٦.	النهي:	٥٥٨٦
٧.	الاستفهام:	٥٥٨٨
٨.	النداء:	٥٦٠١
٩.	الخاتمة:	٥٦٠٤
١٠.	المصادر والمراجع:	٥٦٠٥
١١.	فهرس الموضوعات	٥٦٠٧